

الأخذ عن أوربا

للدكتور محمد مندور

يردد بعض الناس هنا وهناك أن الشرق غير الذرب، وأنه لا سبيل للتقائهما، ونحن في الحق لا نعرف قولاً أكذب من هذا وبخاصة في مجال الثقافة، حيث يشهد التاريخ أن التيارات الفكرية لم ينقطع لها مدد بين شطري العالم، وإن كان من الصحيح أن لكل من هذين الشطرين خصائص مميزة إلى جانب ما يجتمعان فيه حقائق إنسانية عامة

والناظر في تاريخ الحضارات يلاحظ أنها لم تقف قط عن التأثر بيمضها البعض، ولئن كان من الثابت أن الشرق قد كان مهد الحضارات؛ فإن الغرب لم يلبث أن أخذها عنه واتجه بها وجهات جديدة فنشر في الروح مبادئ العقل واتجه بالنظر إلى العمل، وبذلك وسع من أسس الحياة الروحية كما مكن للانسان

الأعلى . ولا تزال المساجد حتى اليوم موضع درس

وأعظم المساجد صيغاً في التعليم في عصرنا الجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين بفاس ثم أنشئت دور للتعليم خاصة، من أقدمها بيت الحكمة الذي بناه الرشيد فيما يظهر، وكان للترجمة والتعليم . روى القفطى في أخبار بني موسى بن شاكر أن المأمون أوصى بهم إسحق ابن إبراهيم المصيصي وأثبتهم مع يحيى بن أبي منصور في بيت الحكمة . . . إلى أن قال : فخرج بنو موسى بن شاكر نهاية في علومهم، وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد، وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم طالعاً بأقليدس والمجسطي وجميع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق

وفي القرن الثالث الهجري أراد المعتض بالله العباسي أن يبني ببغداد جامعة . روى المقرئ أن الخليفة المعتض لما أراد بناء قصره في الشامية ببغداد استأذ في الدرع بمعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد ليبني فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة

من استخدام المادة والسيطرة عليها

وقد سبق للعرب أن اتصلوا بالحضارة الإغريقية القديمة، وأخذوا عن تلك الحضارة ما أمكن أخذه مما يصح عند القول كافة كأصول التفكير الرياضي والفلسفي، وأما ما يتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والماطفية، وهو ما يتميز به الحضارات، فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله أو نقله، ومن هنا لم يترجوا إلى لغتهم شيئاً من شعر الإغريق وإن كانوا على العكس من ذلك قد ترجوا جانباً من أشعار الفرس كالشاهنامه وغيرها . وربما كان ذلك لأن حياة الفرس التي يصورها ذلك الشعر كانت أقرب إلى حياة العرب من حياة الإغريق، ثم إن الذين قد لعب في هذه المفارقة دوراً حاسماً، فالفرديوسي شاعر مسلم وهو ميروس وثني

وقد تجردت نفس الظاهرة ببلادنا منذ أن أخذنا ننقل عن أوربا في أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، فالشعر بل والنثر الأدبي بمعناه الضيق كان آخر ما أخذنا في نقله، بينما

ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرى عليهم الأرزاق السنوية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، ولم يكن رأى المعتض عجيباً في ذلك العصر الذي أولع فيه الناس بالعلم ومهدت وسائله، ولم يكن جديداً فيه إلا جمع الناس في مكان واحد

ثم أنشئت جامعة القاهرة التي سميت دار العلم في القرن الرابع . أنشأها الحاكم بأمر الله، وفتحت للناس يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥، وجلت الكتب إليها للنسخ والقراءة، ودرس بها القراء والنحويون والأطباء والمنجمون ودرس الحساب والمنطق

قال المقرئى : وأباج ذلك كله للناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . . . وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والحبار

في هذا الزمان

(لحديث بقية)